MINISTRY OF HIGHER EDUCATION
AND SCIENTIFIC RESEARCH
UNIVERSITY OF THI QAR
COLLEGE OF EDUCATION FOR
HUMANITIES

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جـــــــامعـــــــة ذي قـــــار
كـــــــلية التربية للعلوم الانسانية

مجلة علمية فصلية محكمة تصدرها كلية التربية للعلوم الانسانية - جامعة ذي قار

ISSN:2707-5672

المجلد (12) **العدد** (2) 2022

جامعة ذي قار – – كلية التربية للعلوم الانسانية- مجلة كلية التربية للعلوم الانسانية

Vol (12) No.(2) 2022

educationhumanities1@gmail.com
https://iasj.net/iasj/journal/366/about
utjedh@utq.edu.iq

MINISTRY OF HIGHER EDUCATION
AND SCIENTIFIC RESEARCH
UNIVERSITY OF THI QAR
COLLEGE OF EDUCATION FOR
HUMANITIES

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جـــــــــامعـــــــــة ذي قـــــــار
كـــــــــلية التربية للعلوم الانسانية

هيأة التحرير

أ.د انعام قاسم خفيف
رئيس هيأة التحرير

ا.م.د احمد عبد الكاظم لجلاج
مدير التحرير

ت	الاسم	الجامعة	الاختصاص
1	أ.د. سعد علي زاير	جامعة بغداد	طرائق تدريس
2	أ.د. مصطفى لطيف عارف	جامعة ذي قار	اللغة العربية
3	أ.د. حيدر حسن اليعقوبي	جامعة كربلاء	علم النفس
4	أ.د. عماد ابراهيم داود	جامعة ذي قار	اللغة الانكليزية
5	أ.د. صلاح الدين احمد	جامعة عمان	علم النفس
6	أ.د. حسام الدين جاد الرب احمد	جامعة اسيوط	الجغرافية
7	أ.د. عثمان برهومي	جامعة صفاقس/تونس	التاريخ
8	أ.م.د. حيدر عبد الجليل عبد الحسين	جامعة ذي قار	التاريخ
9	أ.د. فاضل عبد الزهرة مزعل	جامعة البصرة	ارشاد تربوي
10	أ.م. انتصار سكر خيون	جامعة ذي قار	الجغرافية

الاشراف اللغوي

م.د اسعد رزاق يوسف — اللغة االعربية

م.د حسن كاظم حسن — اللغة الانجليزية

ادارة النظام الالكتروني: محمد كاظم

الاخراج الفني: م. علي سلمان الشويلي

MINISTRY OF HIGHER EDUCATION
AND SCIENTIFIC RESEARCH
UNIVERSITY OF THI QAR
COLLEGE OF EDUCATION FOR
HUMANITIES

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جـــــــــامعـــــــــة ذي قـــــــار
كـــــــــلية التربية للعلوم الانسانية

المحتويات

ت	اسم الباحث و عنوان البحث
1	نمذجة العلاقات السببية بين الانفعالات الاكاديمية (السارة وغير السارة) المصاحبة للتعليم الإلكتروني لدى طلبة المرحلة الاعدادية م.د. ابراهيم خليل عيدان الجارالله
2	الشعراء الروّاد العراقيون نقّادًا للغةِ الشعر الحر م.م. نغـم عـدنان نـاجي أ.د. علي حسين جلـود
3	القرآنيَّة التَّوافقيَّة في شعر مهدي النَّهيريّ 1 م.م. عبد الأمير دلي مجباس 2- أ.د. أحمد رضا حيدريان شهري 3- أ.م.د. يحيى حسن خضير
4	التحولات الفكرية والتوجهات السياسية عند بدر شاكر السياب م . د سلمان رشيد محمد الهلالي
5	قضية الكردية في بيانات حزب البعث والحزب الشيوعي (السرية والعلنية) 1968-1973 (دراسة وثائقية) م . د . مناف جاسب محمد علي
6	شعرية الانزياح في شعر الجواهري م. د. جواد هادي حسين الفضلي
7	الاتجاه الاجتماعي في دراسات الأمثال العربية الحديثة أ.د. عباس جخيور سدخان م.م. وسام مهدي أحمد
8	البعد المكاني للنمو السكاني وتأثيره على المعيار المستدام للمناطق الخضراء في مركز مدينة الناصرية أ.د حسن جبار هميم سعود خماط صكبان

9	أثر عمليات التجوية على الطرق البرية في محافظة ذي قار أ . د سرحان نعيم الخفاجي – ابتهال حامد حسن
10	معاني المدن العراقية الكبرى في معجم البلدان م.م. محمد قاسم فرحان
11	المشاركة السياسية للأمة عند العلامة الشيخ محمد مهدي الآصفي دراسة فقهية ا.م.د رعد كاظم كاكه الله
12	لغةُ النَّقْدِ في التُّرَاثِ الأَدَبِي كِتَابُ (الوَشْيِ المَرْقُومِ في حَلِّ المَنْظُومِ) لضياءِ الدِّين بنِ الأَثِيرِ (ت637هـ) أنموذجًا م.د. صباح حسن عبيد التميمي
13	موقف الأحزاب السياسية العراقية من القضايا الدولية في العهد الملكي م . م. أباذر راضي كريدي العامري
14	طرق المعرفة الاجـــــــــرائية وعلاقتها بمهارات ما وراء الذاكرة م. فاطمة عادل داخل
15	القلق من المستقبل وعلاقته باتخاذ القرار لدى طلبة المرحلة الإعدادية م . د علي رسن شندوخ
16	أسلوب التعظيم في التعبير القرآني/ دراسة دلالية م. د . خالد خضير عباس
17	المقدس التأريخي وأثره في تصدع الظاهرة النقدية للاستشراق مقاربات في كتابات النقد الإسلامية أ.م. د شهيد كريم محمد
18	العلاقات البريطانية – الليبية من الاحتلال الايطالي لنهاية الحرب العالمية الاولى (1911– 1918) م.م. فلاح علي دليل
19	روايات سالم حميد وخطاب التفكيك ومظاهر التجريب م.د مسار غازي شناوه

20	المهدية وأحداثها الداخلية والخارجية في عهد عبد الله المهدي الفاطمي 303-322هـ/ 915-933م ا.م .د. علي فيصل عبد النبي العامري
21	موجّهات التّلقي النصيّة في الخطاب التّفسيري "مواهب الرحمن اختياراً ا.د حسين علي عبد الحسين الدخيلي د. علياء حميد الغرابي
22	العلاقات التجارية الأمريكية غير الرسمية مع الاتحاد السوفيتي 1922-1933 ا.م.د حيدر سلام لازم عزيز
23	الأنا المنكسرة ونسق التعويض في (ما ينقص شاعراً) لعمر الدليمي أ.م.د. حسين علي جبار القاصد
24	التوزيع المكاني للمرائب في محافظة ذي قار لعام2020-2021 م. م علي عبد الكريم جواد الحجامي
25	شجاعة الرسول (ص) عند شعراء صدر الإسلام م.د. وضاح حسن خضر الحديدي
26	الأبعاد الجغرافية لظاهرة الهجرة الداخلية للسكان في محافظات الفرات الأوسط للمدة 2003 – 2020 م. د. حسام صبار هادي الزيادي
27	روايةُ الحفيدة الأمريكية، دراسةٌ في النقد الايديولوجي م. د.واثق حسن مجهول الحسناوي
28	العلاقات الأمريكية – الألبانية 1912- 1939 م.محمد عبود مهاوش

رينيه معوض ودوره السياسي في لبنان (1925– 1989) م.د.قاسم جباري لطيف زاحم المرشدي	29
Misordered Words: A Study in Iraqi EFL Learners' Written Production م. رانية عدنان عزيز م. وفاء حسين جبر التميمي	30
Supporting Communicative Approach Using YouTube to Teach the Apology Strategies to Secondary School Students: An Experimental Study م.م امال صبار جليد م.م احمد ابراهيم الطيف	31
The Contextual Uses of the Impoliteness in Ernst Hemingway's *The Snow of Kilimanjaro* Sahab Salih Fenjan	32
A Discourse Analysis of Sectarian Discourse on Some Selected News Websites Asst. Prof. Saddam Salim Hmood	33
Translation Students Mistakes in translating commonly used English sentences and phrases into Arabic (comparing graduates of the scientific branch with graduates of literary branch) م.م.شهلاء خالد جاسم	34

الاتجاه الاجتماعي في دراسات الأمثال العربية الحديثة

Social trend in studies of modern arabic proverbs

أ.د. عباس جخيور سدخان Dr.prof. Abbas ch. Sadkhan

قسم اللغة العربية- كلية التربية للعلوم الإنسانية-جامعة ذي قار- ذي قار- العراق

Department of Arabic language- College of Education for Humanities-University of Thi Qar - Thi Qar – Iraq

م.م. وسام مهدي أحمد Wisam M. Ahmed

wisamalyaqupi@gmail.com

مديرية تربية ذي قار- ذي قار- العراق

Thi qar education Directo-Thi Qar- Iraq

Keywords: Social Trend, Proverbs, Modern Arabic Studies.

الكلمات المفتاحية: الاتجاه الاجتماعي، الأمثال، الدّراسات العربيّة الحديثة.

Abstract

The research aims to detect the ability to present proverbs texts, in studies of modern arabic proverbs, as proverbs are text of cultural studies, and container for the social image of community which it was born, and this is giving us the allow to check their divisions, and their criticism processing which are adopted to deconstruct this cultural text and thier overall studying, where the creative texts, as they turn into cultural texts, must have linguistic depth and cognitive formation in order to allow this study or other to go through in its partial details.

The researcher utilizes analytical method, as an approach that provides us with mechanisms that contribute to giving a clear image of the critics' efforts, knowing their fortunes of previewing studies of modern arabic proverbs, showing the amplitude of their sobriety or failure in dealing with creative texts.

The study ended up with the findings of the research in examining the critics' efforts of those studies, including their critical, intellectual, and cultural awareness, by standing on the texts of arabic proverbs

الملخص

يسعى البحث نحو الكشف عن القدرة التي تقدم نصوص الأمثال، في دراسات الأمثال العربية الحديثة، بوصف الأمثال متناً للدراسات الثقافية، وحاوية للصورة الاجتماعية في المجتمع الذي ولد فيه، وهذا الأمر يمنحنا الأذن في التدقيق بتقسيماتها، ومعالجاتها النقديّة التي وقفت عندها في تفكيك هذا النص الثّقافي وشمولية دراساتها له، ذلك أنَّ النصوص الإبداعية وهي تتحول إلى متون ثقافية لا بد لها من عمق لغوي، وتشكيل معرفي كي تسمح لهذه الدراسة أو تلك الغور في تفاصيلها الجزئية.

اعتمد الباحث على المنهج التحليلي الوصفي، بوصفه منهجًا يرفدنا بآليات تسهم في إعطاء صورة واضحة المعالم لجهود النقاد، ومعرفة حظوظهم في ضوء معاينة دراسات الأمثال العربية الحديثة، وبيان مدى رصانتها أو اخفاقها في التعامل مع النصوص الإبداعية.

وانتهت الدراسة إلى ما توصل إليه البحث في معاينة جهود النقاد في تلك الدراسات، بما يصادي وعيهم النقديّ، والفكريّ، والثقافيّ، بالوقوف على نصوص الأمثال العربيةً.

توطئة:

هناك كثير من الدّراسات النّقدية الحديثة التي عالجت الصورة الاجتماعية في المثل العربي القديم، وكانت العادات والتقاليد والقيم والأعراف السائدة آنذاك مدار بحثها، واشتغالاتها، إذ حاولت تلك الدراسات الكشف عن الصورة الاجتماعية التي تضمنها المثل العربي، وتسرَّبت بين تضاعيفه، وحاولت تسليط الضوء على مجريات الحياة اليومية في المجتمع الجاهلي، وبيان ما يقبع خلف المثل العربي من سلوكيات جماعية، وممارسات قارّة، في وجدان الفرد العربي القديم.

تنوعت هذه الدّراسات بين دراسات استقصائية وقفت بكل دقة على سلوكيات الأفراد، وعاداتهم، وتقاليدهم مشيدة إلى ما قيل من أمثال عن هذا السلوك أو ذاك، أو تلك العبارة ونظيرتها، فيما راحت دراسات أخر إلى تقديم صورة إجمالية حول ما اكتنفه المثل العربي من وقائع اجتماعية وترسبات سلوكية غير معتنية بتفاصيلها الدقيقة أو فجواتها العميقة، إذا ما علمنا أنَّ المثل العربي هو واحدٌ من طرائق التقديم التي نقلت لنا التراث العربي الجاهلي جنبًا إلى جنب مع الشعر، والحكايات، والقصص، والأساطير وغيرها من سبل نقل التراث العربي القديم، ونحن إذ نقف على هذه الدّراسات لا نحاول بيان حقيقة الوقائع السلوكية التي نقلتها بقدر ما نحاول الكشف عن قدرتها على تقديم النص (المثل بوصفه متنًا ثقافيًا) حاويًا للصورة الاجتماعية للمجتمع .

الدراسات العربية في الأمثال:

يتقدم تلك الدّراسات دراسة أكاديمية للدكتور محمّد توفيق أبو علي المعنونة بـ(صورة العادات والتقاليد والقيم الجاهلية في كتب الأمثال العربية)، اعتمد فيها المؤلف على منهج تحليلي تكاملي، يستعين بحضور المناهج النقدية أينما دعت الضرورة بغية إيصال الصورة مكتملة.

قسم مؤلفه على منهجية ثلاثية شكلت أبواب الكتاب، يلحظ منها الاستجابة لدواعي العنوان الرئيس صورة العادات والتقاليد والقيم، الباب الأول: اشتمل على فصلين في عادات السلم والعصبية والحرب، أعقبهما بخلاصة مشتركة بينهما، تبين أوجه التشابه، والاختلاف بين تلك العادات؛ ذلك نتيجة تعلق أحدهما بالأخرى، أما الفصل الثالث فإنَّ مداره دراسة ظاهرة الصّيد في الجاهليّة بوساطة كتب الأمثال العربية، لما تجسّد من تماس بين عادات السلم وعادات الحرب في الجاهلية. فيما راح الباب الثاني يتتبع في الفصل الأول منه العصبية وتجلياتها في الانتماء، والأحلاف، والصداقة، والصعلكة، والثأر، والشعوبيّة، إذ كان لها حضور بائن في الأمثال العربية. وفي الفصل الثاني كشف عن التقاليد الاعتقادية، مدت ظلالها على الكهانة، والعيافة، والنذور، والرُّقى، فقد تقصى وجودها في الأمثال العربية. أما الفصل الثالث: فعمد إلى دراسة صور الزواج الجاهلي بمنهج مزج فيه بين اللغة والأسطورة أسماه (المنهج اللُّغُسطوري)، وراح يعرض أنواع الأنكحة، والعناصر الرئيسة في الزواج؛ لما تمثله من خصوصية في تقاليد المجتمع الجاهلي. وفي الباب الثالث: ركن إلى صور القيم الجاهلية في كتب الأمثال العربية من فروسية وعنفوان، إذ بين طبيعة التلازم بينهما، وأثرهما مجتمعين في شخصية الفرد

الجاهلي. وكرم وإيثار منفصلين، معللًا سبب الفصل بينهما، واختتم كتابه بظاهرة الفحش في المجتمع الجاهلي، أثبت فيه أنَّ البنية السلوكية الاعتقاديّة الجاهليّة بنية مفككة الأوصال؛ نتيجة اجتماع ألوان متضادة أو متنافرة في الشخصية الجاهلية الواحدة، كأن اجتماع العفة والتهتك معًا [1].

يبدو للوهلة الأولى أنَّ الفكرة الأساس للعنوان بصورة العادات والتقاليد تضفي بدلالة مفردة (الصورة) على عدم الزعم بأنَّ ما يعرضه الكاتب ليست الجاهلية بعينها، بل صورة عنها، وقد تكون هذه الصورة مطابقة لواقعهم، أو مدانية له، أو متباينة عنه. والأمر الآخر محدودية البحث الزمنية، فلم تبقَ محصورة في الحقبة الجاهلية، بل تعدت إلى كل كلام حول الجاهلية في الحقب جميعها [2]. مما يدل على أنَّ للباحث رؤية كاملة عن موضوع دراسته، وفهم ما يريد الخوض فيه بجدية وإتقان كبيرين.

أما الجانب الآخر من العنوان اختيار كتب الأمثال العربية، لأنَّ المثل وهج حياة الإنسان العربي، وأقرب الأنساق الكلاميّة إليه، يتجسد فيه مشتهى الجاهلي من القول؛ لما ينماز به من ديباجة جميلة، وكناية تصيب المعاني، وإيجاز يختصر المسافات من القول فتتضح المعاني بوساطته [3]، حتى قيل فيه أنَّه((حكمة العرب في الجاهلية والإسلام)) [4]، ويمثل أقرب ما يكون إلى فلسفتهم المعبرة عن حياتهم ومجتمعاتهم بصدق إلى حدٍ كبير نوعًا ما؛ لأنَّه الأبعد عن إشكاليات النحل[5]، لهذا تلمّس الباحث في قراءة الأمثال العربية القديمة صور الحياة الجاهلية من تقاليد وعادات وقيم.

ومما يمكن ملاحظته من الدراسة آنفة الذكر أنَّ الدكتور محمّد توفيق أبو علي بحث عمّا تستبطنه نصوص الأمثال العربية وقصصها، وقرأها قراءة واعية إنمازت بالجدة، وعرض معاينته للعادات والتقاليد والقيم الجاهلية الكامنة في تلك النصوص بأسلوب علمي رصين مكنه من استحضار حياة الأفراد والمجتمعات الجاهلية بتفاصيل دقيقة وشاملة.

كما أنَّه فرّق بين العادة والتقليد تفريقًا واضحًا وجليًّا بعد أنْ تبينت معالمهما عنده، إذ يرى أنَّ مفهوم العادة ((يرمز إلى أمر غير ملزم اجتماعيًّا، على الرغم من كونه مستساغًا ومقبولًا، بل محبوبًا عند عموم أفراد المجتمع)) [6]، أما مفهوم التقليد ((فيراه العرف عينه، راسخ الجذور، في الأنا الأعلى الاجتماعي، متجليًّا في أنماط سلوكية متنوعة)) [7]، أضف إلى ذلك عاين الأصل اللغوي لكليهما مما أسهم في وضوح دلالتيهما تقاطعًا وتباينًا، تجسد التقاطع في أنَّ كليهما يتخذ خضوع الإنسان دثارًا له، وأنَّ كليهما يتسم بالاستمرار، أما التباين فإنَّ سمة العادة هي الأفراد، بينما التقليد يطغى عليه الجمع، كما

أنَّ العادة من تداعياتها اللغوية شيء محبب فعله، أما التقيد فشيء ملزم. وتكتمل الفوارق عنده بتمثيلهما، إذ يرى أنَّ الفارق بينهما، كالفارق بين العرف الشفويّ، والقانون المكتوب، في بعض التجليات، وتمثيل العادات والتقاليد بطبقتين تجسد الأولى (العادة) السّطح، والثانية (التقليد) تجسد العمق [8].

يتبيّن مما سبق أنَّ الدكتور محمّد توفيق أبو علي لم يكتفِ بما قاله النقاد[9] في العادة والتقليد بعرض مفهومهما فقط، بل تعدت دراسته إلى التقاطع والتباين بينهما، وتحسب له المحاولة الأولى ــ على حد علمناــ بتجسيد حيزهما، ودلالتهما، وتخومهما، تفريقًا وتباينًا بشكل منهجي، ودقيق، ومجمل، خصوصًا إذا ما علمنا أنَّ الالتباس، والغموض، والإبهام بينهما قائم بشكل كبير في مجملهما في الدراسات والأبحاث الأكاديمية التي تحدثت عنهما.

وسنحاول الوقوف على جزء من تلك الصور للعادات والتقاليد والقيم، واستعراض جهود الدكتور محمّد توفيق أبو علي المقدمة في كشف أسرار الحياة الجاهلية، نأخذ منها عادة من عادات السلم الخاصة بالمرأة، وعنصر رئيس من عناصر الزواج في الجاهلية وهي (بيضة العُقْر)، قيل فيها إنَّها بيضة الدّيك، وإنَّها ممّا يختبر به عذرة الجارية، وهي بيضة إلى الطول. يضرب للشيء يكون مرّة واحدة، يحيل المثل وشرحه إلى عادة تستعمل فيها بيضة العقر تختبر فيها عذرة الجارية، لا تكون إلا مرّة واحدة، وترتبط تلك الدلالة بتقليد من تقاليد الجاهلية الخاصة بالمرأة وهي البكارة، إذ لا تكون أيضًا إلا مرّة واحدة[10] .

قبالة لما سبق لا بد لنا من القول: إنَّ ارتباط تلك العادة (بيضة القُعْر) بتقليد البكارة يفضي إلى نسق جنسي مخاتل في نص المثل لا يختص في عذرة الجارية فقط، وإنَّما تشمل الحرّة أيضًا، الأمر الآخر تعد تلك العادة معيارًا يقاس فيه شرف المرأة، وعفتها، وأخلاقها؛ لهذا يفضل العرب زواج الحرة أو العذراء على المرأة الثيب، وهذا ما لم يلتفت إليه المؤلف في تبديات تلك العادة والتقليد.

وسنقف على عادة أخرى من العادات العصبيّة للعرب قبل الإسلام عادة الوأد وظلالها على المجتمعات العربية، فقد عالج الدكتور محمّد توفيق أبو علي تلك العادة بالبحث عن بداياتها، ودوافعها، ومعناها، بوساطة المثل القائل: ((أضلّ من موؤودة)) [11]، وأشهر قصصه القائلة بـ((إنَّ المشمرج اليشكري أغار على بني سعد، فسبى منهن نساءً، واستاق أموالًا؛ وكان في النساء امرأة خالها قيس بن عاصم، وهي رميم بنت أحمر

بن جندل السعدي، وأمّها أخت قيس. فرحل قيس إليهم يسألهم أنْ يهبوها له أو يفدوها، فوجد عمرو بن المشمرج قد اصطفاها لنفسه، فسأله فيها، فقال: قد جعلت أمرها إليها، فإنْ اختارتك فخذها. فخيّرت، فاختارت عمرو بن المشمرج. فانصرف قيس، فوأد كل بنت؛ وجعل ذلك سنَّة في كلّ بنت تولد له، واقتدت به العرب في ذلك؛ فكان كلّ سيد يولد له بنت يئدها خوفًا من الفضيحة)) [12]، وسبب تلك القصة يشاع في كتب الأخبار أنَّ أول من وأد البنات من العرب كان قيس بن عاصم[13].

وأول ملاحظة عمّا سبق يبدو على الرغم من الجهد الكبير الذي بذله الباحث إلا أنَّه لم يلتفت إلى عمق عادة الوأد التاريخية، التي ربما تعود إلى لقمان بن عاد إذ تقول الأسطورة: إنَّ لقمان كان يقتل نساءه انتقامًا بعد أنْ خُنَّه، فلما قتل آخرهن ونزل من الجبل كان أول من تلقاه ابنته صحر، فوثب عليها فقتلها، وقال: أنتِ أيضًا امرأة، فضربت به العرب المثل (مالي ذنب إلا ذنب صحر) [14] .

والموؤودة اسم كان يقع على من كانت العرب تدفنها حيّة من بناتها [15] . أشار الدكتور محمّد توفيق أبو علي إلى معنى الموؤودة آنفة الذكر [16] ، لكن لم يشر إلى المصدر الذي اقتبس منه، أو بالأحرى اكتفى بمن قال بإحالة غير دقيقة.

أما ما يخص أسباب أو دوافع عادة الوأد فلا يكاد ينحصر بالمنشأ المرتبط بقيس بن عاصم؛ لأنَّه أمر غير مقنع البتة؛ فثمة إشارات شتى، تلغي هذا الحصر، وتضيف إلى هذا السبب أسبابًا عدة، منها الفقر والإملاق، أو طمع غير الأكفاء فيهن فعمدوا لوأد البنات، أو هاجس ديني سببه اعتقاد بعض الجاهليين، أن الملائكة بنات الله، لذلك يجب إلحاق البنات بالبنات، ومنها وجود نقص أو مرض، أو تشوه في الخلقة، أو عاهة دائمة، أو لقبح في الموؤودة، ومن الباحثين من يربط بين تقديم الموؤودة والتضحية للآلهة، بوصفها قرابين بشرية، لإله القمر، الذي هو رمز ذكري وأنثوي[17] .

يلاحظ ممّا تقدم كم بذل الباحث من جهد في سبيل التوصل إلى تلك الفرضيات المتعلقة في دوافع الوأد، غير أنَّه لم يرجح فرضية أو يناقش سببًا للوأد على الرغم من أنَّ القرآن الكريم عالج تلك القضية بقوله تعالى:((وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ)) [18]، فضلًا عن أنَّه لم يلتفت إلى ضلالة اعتقاد أنَّ الإناث هنَّ بنات الله في أكثر من موضع في القرآن الكريم:((وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ

سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ)) [19]، و((وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ* أم أَتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ)) [20]، و((أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ)) [21].

الأمر الآخر فيما يخص تقديم الموؤودة قربانًا للإله إله القمر، أي دخول تلك العادة حدود الطقوس الدينية التعبدية في المجتمعات الجاهلية، تتراءى لنا تساؤلات عدة، بتأمل هذا المعطى الطقسي منها، هل من إله قُدمت له قرابين موؤودات بشرية أنثوية؟ هل كانت تلك الممارسة أو العادة مشاعة إلى هذا الحد الكبير، ولم يعالجها القرآن الكريم؟ فضلًا عن ذلك إذا كانت تلك الممارسة (الوأد) تعبدية طقوسية أي واسطة بين الإنسان الجاهلي والإله المقدس، لماذا لم تذبح البنت أو تطعن كي يسيل دمها خصوصًا إذا ما عرفنا أنَّ سيل الدماء من الشعائر والهواجس الدينية؟ وإنْ صحت تلك الممارسة بعض الشيء؛ لأنَّها قليلة جدًا في المجتمع الجاهلي، فلربما تكون في الأزمنة البعيدة كل البعد عن ظهور الإسلام. ونحن هنا لسنا بصدد البحث عن تلك الإشكالية بقدر ما يتعلق الأمر بالإشارة إلى ما غفل عنه الدكتور محمّد توفيق أبو علي في استنطاق ما تستبطنه نصوص الأمثال وقصصها، وتبدياتها في ثقافة المجتمع الجاهلي، ومحاكمتها بكلام الله سبحانه وتعالى.

وممّا تجدر ملاحظته كشفت حصيلة العادات من التطيب في الحرب، والتعرّي لإنذار القوم، والرمي بأقحاف الرأس، والرؤيا الإذلالية للعبد، وفقء عين البعير، ولبس جلد النمر... إلخ ، والتقاليد من العصبية، والانتماء، والثأر، وتقاليد اعتقادية كالكهانة، والعيافة، والنذور، وصور الزواج، والقيم الجاهلية، كالفروسية، والعنفوان، والكرم، والإيثار، وغيرها من العادات أو الممارسات، والتقاليد، والقيم في المجتمعات الجاهلية، التي تضمنها كتاب صورة العادات والتقاليد والقيم الجاهلية في كتب الأمثال العربية، إنَّ الفرد في تلك المجتمعات يسطر ثقافته وتراثه الأدبي والفكري في المثل، وهذا لا يعني أنّ الباحث استقصى كل ما كان من عادات وتقاليد وقيم جاهلية، لكن في الوقت نفسه، وضح لنا جزءًا كبيرًا مما أنتجته الأمثال العربية من ثقافات وصور تلك الممارسات، لامست حياة الشعوب والمجتمعات القديمة.

فضلًا عن ذلك تَزَيَّا الكتاب بفهارس فنية تفصيلية دقيقة، يحسب للباحث هذا الجهد المتميز، حَوَى فهرس للأمثال، وفهرس للأعلام الواردة في المتن (أشخاص وقبائل، ومواضع، وأيّام، وأصنام، وحيوانات)، وفهرس للآيات القرآنية الكريمة، وفهرس للأحاديث النبوية الشريفة، وفهرس للأشعار، وفهرس للمصطلحات، مرتبة ترتيبًا دقيقًا حسب الحروف الألفبائية، ممّا يعين الباحث أو القارئ بالرجوع إلى أي موضوع فيهما بسهولة كبيرة.

ومن الدراسات الثقافية العربية الحديثة التي تحدثت عن الأمثال الجاهلية، دراسة الأستاذ زكريّا محمّد المعنونة بـ(ذات النحيين، الأمثال الجاهلية بين الطقس والأسطورة)، كتاب صادر عن دار الأهلية للنشر والتوزيع في عمّان، تقوم معماريته الهيكلية على عشرين فصلًا، وملحق عنوانه الطائر المخمور، تحدث فيه عن ديانة العرب قبل الإسلام، ولاسيما أهل مكة.

والواقع من قراءة هذا الكتاب أنَّ الباحث حاول فيه تأسيس فرضية يثبت فيها إرجاع أصل المثل العربي الجاهلي إلى أساطير، وطقوس وممارسات دينية تعبدية، وأنَّ القابلة الأولى لهاتيك الأمثال القديمة هي المعبد، والكاهن أول من قالها، نافيًا في الوقت نفسه صفة واقعية المثل وعفويته ومنشئه اللغوي والأدبي.

يبيّن الكاتب تلك الفرضية في مقدمة مؤلفه، إذ يقول: ((إنَّ المثل عمومًا ربما كان في الأصل ابنًا للأسطورة والطقس. أي إنَّه نشأ في حضنهما ثم انفصل عنهما لاحقًا، ودار في الأسواق، ثم نسي مع الزمن أصله، وتظاهر كأدب زمني خالص)) [22]. وبين حيازة تلك الفرضية أفضى الباحث إلى أنَّ قاعدة المثل الأصل، وهت وتآكلت، وفقدت سطوتها الدينية الأسطورية، ولم تعد من السهل تقرّي ما نقش عليها، ولقد أُفلتت من أيدي الكهنة، لتتلقفها أيدي اللغويين، بمعنى أنَّها انتقلت من ملكية كهنة المعابد إلى ملكية كهنة اللغة [23].

أتكأ الباحث على منهج تأويلي في تفكيك نصوص الأمثال العربية، وقراءتها قراءة لغوية تأويلية، يستنطق فيها الألفاظ والمعاني بغية الوصول إلى هدفه في إقناع المتلقي بأنَّ أصل المثل منطوقات دينية طقوسية.

جاء كل فصل من فصول كتابه بمثلٍ محددٍ يختاره عنوانًا لبداية فصوله، ويبين بوساطته علاقة المثل بالأسطورة أو بالطقس، وفي بعض الأحايين لا يكتفي بالمثل الواحد بل يتعدى إلى أكثر، بحسب حاجته إليهما في بناء تصوراته، وسوق فرضياته؛ بغية الوصل إلى مبتغاه إرجاع المثل العربي إلى دلالات دينية.

أما أسلوب الباحث في الكتابة فيبدو للوهلة الأولى أنّه يمتح من معين ثري لغويًا وثقافيًا، يستعمل المفردات ومعانيها لتسريب مراده، والوصول إلى هدفه، أو إلى ما يزعم. بدأ بمفردات (قد) و(لربما) وانتهى به الأمر إلى (الكثير) وإلى (المثل عمومًا) وإلى (الجزء الأكبر) من الأمثال العربية يرد إلى طقوس دينية أو متحجرات أسطورية.

وسنحاول فيما يأتي التعرف عن مدى دقة استنتاجات الباحث وفرضياته، وأصول البحث العلمي، التي توصل إليها بالركون إلى المثل الذي بنى عليه براهينه. نقف اختيارًا عند الفصل السادس عشر والمثل القائل:

أكذب من فاختة.

الفاختة طراز من الحمام، والجمع فواخت. والاسم عراقي يطلق على هذا الطراز من الحمام، وما زال شائع الاستعمال حتى الآن. والمثل يضرب فيمن يعرف في الكذب... وقصته مختصرة جدًا وعليها، اتفاق: (العرب تسميها الفاختة) بالكذب، فإنَّ صوتها عندهم تقول فيه: هذا أوان الرطب، وهي تقول ذلك والنخل لم يُطلع بعد، ولذلك تقول العرب في أمثالها: أكذب من فاختة[24].

وبعد يشير الأستاذ زكريّا محمّد بداية الانطلاقة في تأويل المثل بالقول: إنَّ تهمة الفاختة ((تهمة ميثولوجية، وليست تهمة واقعية. والسؤال هو: لم تكذب الفاختة؟ ولم يتعلق كذبها بالرطب خاصة؟ وما معنى ذلك؟ أكثر من ذلك لم توصف مطوقة، أي حمامة، بالكذب، وقد علمنا أنَّها رسول صادق، حين أطلقها نوح من سفينته كي تستخبر له عن الطوفان، فعادت له بالخبر اليقين حاملة معها غصن زيتون كبرهان على صدقها؟ ما الذي قلب الأمور هكذا حتى تكذب، وحتى يقال: أكذب من فاختة)) [25]، ومن هنا بدأ التلاعب بالألفاظ وقسر معانيها، لما يريد بعد تفكيك نص المثل والبحث عن جذوره اللغوية، فوقع في التصحيف ظنًا منه أنَّ الفخت: صوت القُمْر، أي صوت الحمام القمري، والحمام القمري هو الفواخت ذاتها، لا لشيء غير تصوره إنَّ ضوء القَمَر ربما كان في الأصل صوت القُمْر، ولسنا ندري كيف يكون للقَمَرِ صوت؟، ومما يؤكد توهم المؤلف ما أشار إليه صاحب اللسان ((قَالَ ابْنُ بَرِّيٍّ: ذَكَرَ ابْنُ الْجَوَالِيقِيِّ أَنَّ الْفَاخِتَةَ مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْفَخْتِ الَّذِي هُوَ ظِلُّ الْقَمَرِ... وَالْفَخْتُ: ضَوْءُ الْقَمَرِ أَوَّلَ مَا يَبْدُو، وَعَمَّ بِهِ بَعْضُهُمْ, يُقَالُ: جَلَسْنَا فِي الْفَخْتِ... وقَالَ بَعْضُ أَهْلِ اللُّغَةِ: الْفَخْتُ، لَا أَدْرِي اسْمَ ضَوْئِهِ، أَمِ اسْمَ ظُلْمَتِهِ))[26] .

ويُلحظ بعد الإمعان في الدلالة اللغوية لمادة (فخت) إنَّ الفخت لون بين الأبيض والأسود، والفاختة كاذبة؛ لأنَّ لونها غير واضح وغير تام، وهي نوع من الحمام ينماز بهذا اللون، وترتبط تلك الدلالة بضوء القمر أو ظله. وقبالة ذلك ينكشف مدى مخالفة الأستاذ زكريّا محمّد نحو اللغة العربية وصرفها ومدلولاتها، وتحميل نصوص الأمثال العربية بما لا يقبل التأويل والتحريف، وتزييف المفردات، من أجل التوصل إلى حجج واهية تمامًا.

والأمر نفسه يصادفنا في قراءة الدكتور سامي مهدي النقدية، بمقالٍ منشور في كتابٍ عنوانه (آفاق نقدية قراءات في المتون، وفي مناهج التحليل)، يرد فيه على مزاعم الأستاذ زكريّا محمّد بإرجاع المثل إلى أصول دينية، تستبطن الأساطير والطقوس.

تأتي قراءة الدكتور سامي مهدي لذات النحيين بما تكتنفه من قناعة تامة بأنَّ أصول المثل العربي واقعية، ولدت من رحم الحياة الاجتماعية. وهو بهذا يفند ادعاء ما توصل إليه صاحب الكتاب؛ لأسباب منهجية تتعلق بمادة الكتاب المرويات الشفهية، ومنهجه البحثي ووسائله الإجرائية، ولغة المؤلف وأسلوبه في سوق الفرضيات[27] .

ولعل من أهم تلك الأسباب ما يتعلق بالمرويات الشفهية وأخبار الأخباريين، إذ لا يمكن الاعتماد عليها مرجعًا منزهًا للمعلومات ومتكأً لإستقاء الحجج والأسانيد؛ لأنَّها مرويات ميثولوجية أكثر منها مرويات تاريخية، وشفهية تتعرض للزيادة والنقصان والتغيير والتحريف من قبل الرواة، فضلًا عن كون معظمها منقولة بالتواتر لا يمكن الوثوق بها ثقة مطلقة[28].

فيما أتخذ من المنهج التأويلي ذريعة في جوهره، يقوم بتفكيك نصوص الأمثال، وتأويل ألفاظها ومعانيها، بطريقة قسرية فيها تجاوز على اللغة العربية وصرفها، وعلى دوالها ومدلولاتها، مما يجعل العملية برمتها عملية تلفيقية تتنافى وأصول البحث العلمي في سوق الفرضيات، وللوقوف على جزءٍ بسيط من تلك العملية التلفيقية يضرب مثالًا على ذلك بالمثل القائل:(أقرى من مطاعيم الريح). يضرب هذا المثل كما هو معروف بمن يكرمون الأضياف، ويتفوقون بكرمهم على غيرهم، وتلك هي عادات العرب وتقاليدهم، والمثل نابع من صميم حياتهم الاجتماعية، ومثلهم الأخلاقية، ومستقى من بيئتهم الجاهلية، وثقافتهم السائدة، وهو بهذا ليس مطوقة دينية بحسب ما يدعي الأستاذ زكريّا محمّد[29] .

أما كيف توصل إلى تلك العملية القسرية في تأويل المثل، وبالتالي إرجاعه إلى طقوس دينية[30] :

1. غيّر اسم التفضيل (أقرى) ومعناه (أكثر قِرى للضيف) بالفعل الرباعي (أقرى) ومعناه (لزم الشيء وألح عليه) ثم جعل من هذا الفعل اسم تفضيل بطريقة اعتباطية وأعطاه معنى (أشد إدمانًا).
2. غيّر كلمة(الرِّيح) المكسورة الراء بكلمة من صنعه، كلمة لم ترد في نص أو في معجم، كلمة من اختراعه هي كلمة (الرَّيح) بفتح الراء، وادعى على هواه أنَّ (الرَّيح) هذه هي مفردة كلمة(الرَّياح) التي وردت في بيت لامرئ القيس يقول فيه:

كأنَّ مكاكيَّ الجِواءِ غديَّة نشاوى تساقوا بـ الرَّياح المفلفلِ

في حين أنَّ كلمة (الرَّياح) هذه هي نفسها مفرد، وليست جمعًا، وأصلها هو (الراح) و(الياء) مزيدة عليها، وأنها ليست اسمًا للخمر كما ظن المؤلف.

3. استنتج بطريقته الخاصة أنَّ معنى الفعل(طِعم) هو (شرب)، وليس(ذاق) أو(أكل)، ولا (شبع) إذا ما جاء بفتح العين، كما جاء في المعاجم. وبناءً على ذلك أصبحت كلمة(مطاعيم) تعني عنده(الشاربين) أو (الشرّيبين)، في حين أنَّ الفعل (طعم) لم يرد بمعنى(شرب) في أية صيغة من صيغه، وأن كلمة(مطاعيم) هي جمع (مطعام)، ومعنى المطعام هو (الكثير الأضياف)، وليس لهذه الكلمة أية علاقة بالخمر وشاربها.

وفي ختم المقال يرى الدكتور سامي مهدي أنَّه لا يمكن الاطمئنان إلى سلامة ما توصل إليه الأستاذ زكريّا محمّد؛ لاستعماله لغة مضللة وألفاظ ماكرة، وكشف هذا التضليل قد يتطلب تأليف كتاب بحجمه، وليس أدل على ذلك من كثرته، يبدأ بالمقدمة ولا ينتهي بنهايته.

وبهذا الفهم والقراءة الواعية والدقيقة لكتاب ذات النحيين، الأمثال الجاهلية بين الأسطورة والطقس، نتفق تمامًا مع ما ذهب إليه الدكتور سامي مهدي في مجمله، ويتبين لنا أنَّ ما نقوله يجد برهانه فيما تشي به المعاجم اللغوية، بكشف زيف وتحريف الدلالات التي نسجها الأستاذ زكريّا محمّد في مخيلته، وتوصل بها إلى استنتاجات واهية يدعي فيها أصول المثل العربي منطوقات دينية تعبدية، قبالة ذلك لا بد لنا من القول: إنَّ المثل لولا سيرورته وتداوله لم يبقَ صامدًا عبر الأزمنة، وهذا التداول جاء؛ لأنَّه يعبّر عن ثقافة المجتمعات ورغباتهم، ليس بجانبه اللغوي فحسب، بقدر ما يتعلق بقيمهم وعاداتهم وتقاليدهم، أضف إلى ذلك الأمثال وإنْ صدرت عن بعض الكهنة هذا لا يعني أنهم أول من قالها، إنَّما شأنهم شأن العالم والشاعر، والحكيم، والراعي على حدٍ سواء.

ولاستظهار صور أُخر للمجتمعات القديمة، والثقافات السابقة في دراسة الأمثال العربية نركن إلى عنوان موسوم بـ (الأمثال العربية القديمة، قيمتها ودورها في تصوير الحياة العربية)، للباحث الجزائري أحمد كامش.

إذ تقوم هيكلية هذه الدراسة على ثلاثة أبواب: الأول منها أختص بالجانب التنظيري، التعريف بالأمثال وأنواعها، والثاني الحياة العربية من الأمثال، قسمه على فصولٍ تحدث عن الحياة السياسية، والحياة الاجتماعية، والحياة الأخلاقية، أما الباب الثالث إتكأ على القيمة الأدبيّة والعلميّة للأمثال. أما منهج الدراسة المتبع، فوضح الباحث في مقدمة دراسته أنّه اعتتمد على المنهج الوصفي التفسيري[31]، لتقصي صور الحياة العربية القديمة بوساطة الأمثال؛ لاتصالها المباشر في حياة الناس.

وسنحاول فيما يأتي الوقوف على الجانب التطبيقي لتلك الدراسة واستعراض بعضٍ من صورها للمجتمعات القديمة، نأخذ صورة من صور الحياة الاجتماعية، ونوع من أنواع الزواج في الجاهلية.

نكاح الاستبضاع: يذكر الباحث (أحمد كامش) بأنَّه ((نوع غريب من الزواج حرّمه الإسلام، ويكون بأن تقدم المرأة أو تجبر عليه طلبًا لنجابة الولد، فتستطرق رجلًا قويًّا شجاعًا كريمًا، غير زوجها أملًا في إنجاب ولد مثله)) [32]، ويشير الباحث إلى أنَّه لم يقف على آثار لهذا الزواج غير حديث لعائشة، وأبيات لنمر بن تولب يقول فيهن [33]: (من المتقارب)

لقيم بن لقمان من أخته فكان ابن أخت له وابنما
لياليَ حمق فاستحْصِنَتْ إليه فـغُرَّ بـــها مُــظْلما
فغرّ بها رجل محكم فجاءتْ به رَجُـلاً مُحْكمـا

ما يلفت النظر أنَّ الباحث تكاسل بالبحث، ولم يُفَتِّشْ في الأمثال العربية، التي هي موضع دراسته عن ذلك النوع من الزواج في الجاهلية، واكتفى بأبيات شعرية للشاعر النمر بن تولب نقلها من كتاب البيان والتبين، وليس من ديوان الشاعر، فوقع في تصحيف واضح في شطر البيت الثالث، إذ ذُكر في الديوان ((فأحبَلَها رجلٌ نابِهٌ)) [34].

الأمر الآخر ورد في مجمع الأمثال مثلان، يدلان دلالة واضحة على زواج الاستبضاع، الأول: ((هذا حِرٌ مَعْرُوفٌ، وردت في قصته إنَّ أولُ من قَالَ ذلك لقمانُ بن عادٍ بن عَوْص بن إرَم. وذلك أن أخته كانت تحت رجلٍ ضعيف، وأرادت أنْ يكون لها ابن كأخيها لقمان في عَقْله ودَهَائه، فقالت لا امرأة أخيها: إنَّ تَعْلى ضعيفٌ، وأنا أخاف أن أضعف منه فأعِيريني فراشَ أخي الليلة، ففعلت، فجاء لقمان وقد ثَمِل فبطش بأخته، فعلَقَتْ منه على لُقَيم، فلما كانت الليلة الثانية، أتى صاحبته فَقال: هذا حِرٌ مَعْرُوف)) [35] .

مما تجدر الإشارة إليه من المثل وقصته أنَّ زواج الاستبضاع ينافي عادات، وتقاليد المجتمعات الجاهلية بدليل ما ذكر في قصة المثل أن لقمان كان ثملًا، أضف إلى ذلك أنَّ مفردة (بطش) تدل على فتك هذا العمل وسطوته، بمعنى لم يكن مستساغًا في الأعراف الاجتماعية القديمة.

المثل الثاني:((قَدْ كَانَ ذَلِكَ مَرَّةً فَاليَوْمَ لاَ، أولُ من قَال ذلكَ فاطمة بنت مُرٍّ الخَثْعَمية، وكانت قد قرأت الكُتُبَ، فأقبل عبدُ المطلب ومعه ابنه عبدُ الله يريد أنْ يزوّجه آمنة بنت وَهَب بن عبد مناف بن زُهْرَة بن كلاب، فمرَّ على فاطمة وهى بمكة، فرأت نُورَ النبوة في وَجْه عَبْد الله، فَقَالت له: مَنْ أنت يا فتى؟ قَال: أنا عبدُ الله بن عبد المطلب ابن هاشم، فَقَالت: هَلْ لك أنْ تَقَع عليّ وأعطيك مائةً من الإبل؟ فَقَال: (من الرجز)

أمَّا الحَرَامُ فَألمَمَاتُ دُونَهُ وَالحِلُّ لاَ حِلَّ فأستَبِينَهُ

فَكَيفَ بِالأمْرِ الَّذي تَنْوِينَهُ يَحْمِى الكَرِيمُ عِرْضَهُ وَدِينَهُ

ومضى مع أبيه، فزوَّجه آمنة، وظل عندها يومَه وليلته، فاشتملت بالنبي صلى الله عليه واله وسلم، ثم انصَرَفَ وقد دَعَتْه نفسه إلى الإبل، فأتاها فلم ير منها حِرْصاً، فَقَال لها: هل لك فيما قلت لي؟ فَقَالت: قد كان ذلك مرة فاليوم لا، فأرسلتها مَثَلاً)) [36] .

تستبطن نصوص الأمثال العربية وقصصها وبالأخص آنفة الذكر أنَّ تلك الممارسات لم ترفضها المجتمعات الجاهلية، يقول الأصمعي: سُئل أعرابيّ ما الزنا عندكم فقال: الضمة والشمة والقبلة، فقيل له إنَّ الزنا عندما يباضع الرجل المرأة، فاعترض الأعرابي، وقال: ليس هذا بزنا، هذا طلب ولد ونسل [37]. تأسيسًا على ذلك يبدو في ممارسة الاستبضاع ثقافة مسكوت عنها تجذر للهوية الذكورية في المجتمع الجاهلي.

وممّا يجدر ذكره أن الوقوف على تفصيلات هذه الرسالة يتطلب مساحة كبيرةً، لتغطي حيثيات موضوعات الباحث أحمد كامش؛ لأنَّها دراسة لم تكن على قدرٍ كبيرٍ من ناحية الرصانة العلمية والموضوعية، وإنَّما دراسة أقل ما يقال عنها تكاد تكون تاريخية في عرضها، فضلًا عن ذلك فإنها تفتقد إلى الدقة، والعدة الفكرية، والثقافية الواعية في تناول الأمثال العربية، والبحث عمّا تحمله من وهج المجتمعات الجاهلية، وإذا ما استقصينا أكثر يتضح لنا من قراءة الرسالة أنَّها دراسة ناقصة للمنهج الواضح والرؤية الواعية في إحاطة الأمثال بدل الأشعار والأخبار؛ لأنَّ الأمثال موضع دراسته. قبالة ذلك حَملت الرسالة أخطاء طباعية وأسلوبية كثيرة، وتصحيف في الآيات القرآنية، وموضوعات تخلو تمامًا من الأمثال العربية[38]، وإنْ ذكرها في موضع آخر يتركها دون تحليل أو استنطاق بما تشي به نصوصها، وقصصها من مسوغات ثقافية واجتماعية.

وسنقف في الصفحات القادمة على كتاب آخر للدكتور محمّد توفيق أبو علي، عنوانه (الأمثال العربية والعصر الجاهلي، دراسة تحليلية)، وهو في الأصل أطروحة دكتوراة نوقشت في جامعة القديس يوسف في لبنان.

عنوان الكتاب محبوك حباكة ينم عن دراية المؤلف بما يُريد أنْ يطرحه من آراء، فأختار حرف العطف (الواو) بين الأمثال العربية والعصر الجاهلي دون حرف الجر (في)؛ كي لا يقع في مزالق التشكيك في نسبة الأمثال العربية إلى العصر الجاهلي من غيره. ترتكز دراسته على بابين، وستة فصول، سبُقت بدراسة مهمة نقد فيها المصادر والمراجع مظان البحث، وفرق بين المصدر والمرجع، وقسمهما إلى تقسيمات أغنت البحث كثيرًا[39].

من جانب آخر حاول الباحث الإفادة من مناهج البحث العلمي في فاختيار منهجه في الدراسة (المنهج التحليلي)، إذ لا يرتكز على منهج ضيق بعينه، ويفيد أكثر على شيء من البنيوية،

ويستدعي في بعض الأحايين فيما يعوزه تعاطيه مع المثل إلى المنهج التاريخي أو الاجتماعي أو غيرهما [40] .

فضلًا عن ذلك صنف الأمثال العربية في ثلاث مجموعات، الأولى: حسب اصطلاحها إلى مثلٍ سائر ومثل قياسي، ومثل خرافي، والثانية: حسب علّة نشوئها: إلى أمثال ناجمة عن حادث أو عن تشبيه، أو عن قصة أو عن حكمة، أو عن شعر، أو عن قرآن كريم وحديث نبوي شريف، أما الثالثة: فصنفها حسب زمانها إلى قديمة، ومولّدة، وحديثة، وعامية [41] .

تتلو تلك المقدمات في الأمثال، تطبيق الدراسة في البحث عن صور الحياة الفكريّة الجاهليّة في تنقيب نصوص الأمثال العربية، من بيان، ومعرفة، وعلوم. وصور أُخر للحياة الاعتقادية الجاهلية، من أديان، وعالم الخيال، وطقوس متفرقة. عالج فيه الباحث هوية المجتمعات الجاهلية من طقوس وأساطير ومرويات وأنظمة بتقصي نصوص الأمثال العربية.

وممّا تجدر الإشارة إليه أنَّ الكتاب مهم في موضوعه، لا تفيه بضع صفحات؛ لأنه جهد يستحق التقدير، ويغني القارئ بالمعلومة النيرة، إذ يتسلسل في موضوعاته بإحساس مرهف، فيمهد لها أولًا، ثم يصب فيه معرفته التراكمية. وهذا لا يعني أنَّ الكتاب يخلو من المآخذ تمامًا على الرغم من كونه مهمًا ومفيدًا، خاصة بما يقدمه من تحليل لموضوعاته.

سأكتفي بإيراد بعض تلك الصور؛ لأنَّ المجال لا يتسع هنا كثيرًا لتتبع كل ما ظهر منها، نقف على صورة النذور التي عالجها الدكتور محمّد توفيق أبو علي في استنطاق نصوص الأمثال، وبيان حضورها وقدسيتها البائنة في ثقافة المجتمع الجاهلي.

تقوم عبادة الجاهليين في أغلب وجوهها على الوسائط، في علاقة ثلاثية بين العبد والوسيط والرب، فهم يعترفون بوجود الله الخالق، لكنهم يعبدون الأصنام لتقربهم إليه زلفى، وهذه الأصنام نفسها لا بد لها من وسائط وصلات تقرّبها إلى القوم؛ فكانت النذور أحد أهم هذه الأمور [42] .

وممّا تجدر الإشارة إليه حيازة الأمثال العربية لتلك الممارسات الاجتماعية السائدة في المجتمعات الجاهليّة، كشف عنها الدكتور محمّد توفيق أبو علي، بالأمثال ((أوّلُ الصَّيْدِ فَرَعٌ، ورد أنَّ الفرع: أول ولد تنتجه الناقة، كانوا يذبحونه لآلهتهم يتبركون بذلك، وكان الرجل يقول: إذا تَّمت إبلي كذا نحرت أول نتيج منها، وكانوا إذا أرادوا نحره زيّنوه وألبسوه)) [43]، اكتفى الباحث بتصنيف هذا المثل بأنه نوع من أنواع القرابين الحيوانية أو المادية، غير أنَّ وروده يفرض تساؤل لماذا الأبل دون غيرها؟ وهل هناك صفات أخر للإبل غير الفرع؟ نرى في الإبل رمزية تتعلق ببقاء الفرد في المجتمعات الجاهلية، وهناك مواصفات أخر للإبل منها: البلية[44]، والمُعَنَّ[45]، والنَّقِيعَة[46]، والمُفَقَّأ، والمُعَمّى[47]، والرَّعْلاء[48]، والرِّياس[49] .

فيما عد المثل ((قدْ وَقَعَ بينهم حرْبُ داحسٍ والغَبْرَاءِ، وفيه أنَّ الحارث بن زهير قتل جنيدب بن زيد بن مالك، وفاء لنذر كان نذره وهو يقتل رجلًا من بني بدر انتقامًا لمقتل ابنه)) [50]، نوع آخر يسمى القرابين أو الأضاحي البشرية. ولعل ما يلفت النظر أنَّ الباحث لم يبين سبب تقديم تلك القرابين أو النذور، وما يلحق بها من ممارسات طقوسية، وهنا نود أنْ نذكر من تلك الأسباب هي محاولة الفرد الجاهلي كسب ود الإله، لأنَّ فكرة القربان تستمد قوتها إلى أبعد حد من درجات السمو الروحي في ترجمة العلاقة بين الآلهة والبشر، فهي وبشكل جوهري علاقة قوامها التبعية والخضوع[51]. تسعى فيها الأفراد إلى تمتين العلاقة بالإله المقدس بوساطة القرابين أو النذور أو الهدي.

قبالة ما سبق ذكره في صورة النذور والقرابين، عالج الدكتور محمّد توفيق أبو علي صور النحر والذبائح في مصادر التراث العربي عن الجاهليين، لكن الغريب في الأمر أنَّه لم يستدل بالأمثال العربية، واكتفى بمثلين ليس فيهما من النحر سوى دلالة عامة عليه، ولم يتعرض لهما بالتحليل البتّة، فضلًا عن أنَّه لم يتعرض إلى رواسب رمزية الدماء في المجتمع الجاهلي.

وخلاصة القول في (الأمثال العربية والعصر الجاهلي): إنَّه زاد يغني قارئه بالمعرفة، ومصدرًا مهمًا ومفيدًا من مصادر الثقافية العربية، بذل فيه الباحث جهدًا كبيرًا بالبحث عن الديانات، والطقوس، والمعتقدات، في نصوص الأمثال العربية، أضف إلى ذلك يشي مؤلفه هذا أيضًا بفهارس تفصيلية تغني الدارس، وتجنبه عناء البحث عن معجم الحياة الفكرية، ومعجم الحياة الاعتقادية، فضلًا عن فهرس الأمثال.

نتائج البحث:

- جاءت دراسة (صورة العادات والتقاليد والقيم الجاهلية في كتب الأمثال العربية)، حافلة بالبحث عمّا تستبطنه نصوص الأمثال العربيَّة وقصصها، إذ قرأها الباحث قراءة واعية إنمازت بالجدة، وعرض معاينته للعادات والتقاليد والقيم الجاهلية الكامنة في تلك النصوص بأسلوب علمي رصين مكنه من استحضار حياة الأفراد، والمجتمعات الجاهلية بتفاصيل دقيقة وشاملة، وتعدت دراسته التقاطع والتباين بين العادة والتقليد، إذ تحسب له المحاولة الأولى، بتجسيد حيزهما، ودلالتهما، وتخومهما، تفريقًا وتبيانًا بشكل منهجي ودقيق.

- نتجَ عن (ذات النحيين،الأمثال الجاهلية بين الطقس والأسطورة)، أنَّ الباحث عمدَ إلى تفكيك نصوص الأمثال، وتأويل ألفاظها ومعانيها، بطريقة قسرية فيها تجاوز على اللغة العربية وصرفها، وعلى دوالها ومدلولها، وجدنا برهان هذا كله في المعاجم اللغوية، إذ كشفت زيف، وتحريف الدّلالات، التي نسجها الباحث في مخيلته، وتوصل بها إلى استنتاجات واهية يدعي فيها أصول المثل العربي، منطوقات دينيَّة تعبديَّة.
- أفصح البحث عن قراءة دراسة(الأمثال العربيَّة القديمة، قيمتها ودورها في تصوير الحياة العربيَّة)، وتبين أنَّها دراسة لم تكن على قدرٍ كبيرٍ من ناحية الرصانة العلميَّة، والموضوعيَّة، وإنَّما دراسة أقل ما يقال عنها تكاد تكون تاريخيَّة في عرضها، فضلًا عن ذلك فإنَّها تفتقد إلى الدقة، والعدة الفكريَّة، والثقافيَّة الواعيَّة، في الحديث عن الأمثال العربيَّة، والبحث عمّا يحمله من وهج المجتمعات الجاهلية.
- شخص البحث في دراسة الأمثال العربيَّة والعصر الجاهلي، إنَّه زاد يغني قارئه بالمعرفة، ومصدرًا مهمًا، ومفيدًا من مصادر الثقافيَّة العربيَّة، بذل فيه الدكتور محمّد توفيق أبو علي جهدًا كبيرًا بالبحث عن الديانات، والطقوس، والمعتقدات، في نصوص الأمثال العربيَّة.

هوامش البحث:

1. ينظر: صورة العادات والتقاليد والقيم الجاهلية في كتب الأمثال العربية من القرن 6 ــ 9 هـ/ د. محمّد توفيق أبو علي، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت ـ لبنان، ط3، 2007م: 9 وما بعدها.
2. ينظر: المصدر نفسه: 12.
3. ينظر: نفسه: 9.
4. كتاب الأمثال، الإمام الحافظ أبي عبيد القاسم بن سلام، المتوفى 224هـ، حققه وعلق عليه وقدم له، د. عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، دمشق ـ سوريا، ط1، 1980م: 34.

5. ينظر: الأدب الجاهليّ، د. طه حسين، مطبعة فاروق محمّد عبد الرحمن محمّد، القاهرة ــ مصر، ط3، 1933م:354.
6. صورة العادات والتقاليد والقيم الجاهلية في كتب الأمثال العربية:28.
7. المصدر نفسه: 28.
8. ينظر: نفسه: 29 ـ 31.
9. ينظر: القيم والعادات الاجتماعية، د. فوزية دياب، والعادات والتقاليد، د. إبراهيم مدكور، والعادات الاجتماعية، د. أحمد زكي بدوي، والطبقات الاجتماعية، د. محمّد ثابت الفندي، وغرائب النظم والتقاليد والعادات، د. علي عبد الواحد الوافي.
10. صورة العادات والتقاليد والقيم الجاهلية في كتب الأمثال العربية: 384.
11. المصدر نفسه: 170.
12. نفسه: 170.
13. ينظر: نفسه: 170.
14. ينظر: المرأة في الشعر الجاهلي، أحمد الحوفي، دار نهضة مصر، القاهرة، ط3، 1980م: 296.
15. ينظر: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، السيّد محمود شكري الألوسي البغدادي، عني بشرحه وتصحيحه وضبطه: محمّد بهجة الأثري، المطبعة المصرية، ب. ت:42/3.
16. ينظر: صورة العادات والتقاليد والقيم الجاهلية في كتب الأمثال العربية: 171، هامش رقم 1.
17. ينظر: صورة العادات والتقاليد والقيم الجاهلية في كتب الأمثال العربية: 172 ــ 173، نقلًا عن الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: 233/19، ووفيات الأعيان، ابن خلكان:89/6، نهاية الأرب، النويري:126/3، وبلوغ الأرب، الآلوسي:43/3، والكشاف عن حقائق التنزيل، الزمخشري،222/4.
18. سورة الإسراء: 31.
19. سورة النحل:57.
20. سورة الزخرف:15 ـ 16.
21. سورة الطور: 39.
22. ذات النحيين، الأمثال الجاهلية بين الطقس والأسطورة، زكريا محمّد، دار الاهلية للنشر والتوزيع، الأردن ـ عمّان، ط1، 2021م: 5.
23. ينظر: المصدر نفسه: 7.
24. ذات النحيين، الأمثال الجاهلية بين الطقس والأسطورة:295.
25. ينظر: المصدر نفسه: 260.
26. لسان العرب: مادة فخت.
27. ينظر: آفاق نقدية، قراءة في المتون وفي منهاج التحليل، سامي مهدي، دار ميزوبوتاميا للطباعة والنشر والتوزيع، العراق ـ بغداد، ط1، 2014م:164.

28. ينظر: المصدر نفسه: 165.
29. ينظر: نفسه:165.
30. نفسه:166.
31. ينظر: الأمثال العربية القديمة، قيمتها ودورها في تصوير الحياة العربية: أحمد كامش، رسالة ماجستير، كليّة الآداب واللّغات، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينية ـ الجزائر: المقدمة.
32. المصدر نفسه: 164 ـ 165.
33. نفسه: 165.
34. شعر النمر بن تولب، صنعة د. نوري حمودي القيسي، مطبعة المعارف، العراق ـ بغداد، 1969م:106ـ 107.
35. مجمع الأمثال، الإمام أبو الفضل الميداني، مكتبة مشكاة الإسلامية،(د.ت):463/2.
36. المصدر نفسه: 811/1 ـ812.
37. ينظر: الأمالي، أبو علي القالي، تحقيق: إسماعيل يوسف التونسي، مطبعة بولاق، القاهرة، 1323هـ: 164/1.
38. ينظر: الأمثال العربية القديمة، قيمتها ودورها في تصوير الحياة العربية: 272، 273، 238، 113، 109، الآيات القرآنية: سورة الإسراء:51، سورة سبأ: 88.
39. ينظر بتفصيل أكثر، الأمثال العربية والعصر الجاهلي دراسة تحليلية: 8 وما بعدها.
40. ينظر: المصدر نفسه:9.
41. ينظر: نفسه: 43 ـ 46.
42. ينظر: نفسه: 264.
43. نفسه: 267.
44. وهي الناقة أو الفرس يموت صاحبها فيحفر لها حفرة وتشد رأسها إلى خلفها، وتترك حتى تموت عطشًا وجوعًا؛ لأنهم يعتقدون أن الناس يحشرون يوم القيامة ركبانًا على البلايا، ينظر: بلوغ الأرب:308/2.
45. المُعَنَّ: جمل كان أهل الجاهلية ينزعون سناسن فقرته، ويعقرون سنامه لئلا يركب، ولا ينتفع بظهره، ينظر: لسان العرب: مادة عنا.
46. جاء في اللسان: مادة نقع ((النقيعة ما نحر من النهب قبل أن يقتسم)).
47. يقال: إنَّ العرب (إذا كثرت إبل أحدهم فبلغت الألف فقؤوا عين الفحل، فإذا زادت على الألف فقؤوا العين الأخرى، وكانوا يزعمون أنَّ المفقأ يطرد عنها العين، والسَّواف والغارة)، كتاب الحيوان، لأبي عثمان بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السَّلام محمَد هارون، ط2، 1965م :17/1.
48. هي ناقة من خيار النوق، تشق أذنها وتعلق في مؤخرتها وتترك فلا يمنع أحد من حلبها، لسان العرب: مادة رعل.
49. هي الإبل تشق أنوفها عند الأنصاب فيكون لبنها للرجال دون النساء، تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري، دار الكتب العلمية، 2004م: مادة راس.
50. الأمثال العربية والعصر الجاهلي: 265.
51. ينظر: القرابين والنذور في العراق القديم، سعد عمر محمّد، دار الشؤون الثقافية، بغداد ـ العراق، 2011م:15.

مصادر البحث:

القرآن الكريم:

أولًا: الكتب:

- آفاق نقدية، قراءة في المتون وفي منهاج التحليل، سامي مهدي، دار ميزوبوتاميا للطباعة والنشر والتوزيع، العراق ـ بغداد، ط1، 2014م.
- الأدب الجاهليّ، د. طه حسين، مطبعة فاروق محمّد عبد الرحمن محمّد، القاهرة ـ مصر، ط3، 1933م.
- الأمالي، أبو علي القالي، تحقيق: إسماعيل يوسف التونسي، مطبعة بولاق، القاهرة، 1323هـ.
- الأمثال العربية والعصر الجاهلي دراسة تحليلية، د. محمّد توفيق أبو علي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط1، 1988م.
- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، السيّد محمود شكري الألوسي البغدادي، عني بشرحه وتصحيحه وضبطه: محمّد بهجة الأثري، المطبعة المصرية، (ب. ت).
- تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري، دار الكتب العلمية، 2004م.
- ذات النحيين، الأمثال الجاهلية بين الطقس والأسطورة، زكريا محمّد، دار الاهلية للنشر والتوزيع، الأردن ـ عمّان، ط1، 2021م.
- شعر النمر بن تولب، صنعة د. نوري حمودي القيسي، مطبعة المعارف، العراق ـ بغداد، 1969م.
- صورة العادات والتقاليد والقيم الجاهلية في كتب الأمثال العربية من القرن 6 ـ 9 هـ/ د. محمّد توفيق أبو علي، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت ـ لبنان، ط3، 2007م.
- القرابين والنذور في العراق القديم، سعد عمر محمّد، دار الشؤون الثقافية، بغداد ـ العراق، 2011م.
- كتاب الأمثال، الإمام الحافظ أبي عبيد القاسم بن سلام، المتوفى 224هـ، حققه وعلق عليه وقدم له، د. عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، دمشق ـ سوريا، ط1، 1980م.
- كتاب الحيوان، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السَّلام محمَد هارون، ط2، 1965م.
- لسان العرب، للإمام العلامة ابن منظور (630 ـ 711هـ)، اعتنى بتصحيحه: أمين محمّد عبد الوهاب ومحمّد الصادق العبيدي، دار احياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان.
- مجمع الأمثال، الإمام أبو الفضل الميداني، مكتبة مشكاة الإسلامية، (د.ت).
- المرأة في الشعر الجاهلي، أحمد الحوفي، دار نهضة مصر، القاهرة، ط3، 1980م.

ثانيًا: الدراسات:

- الأمثال العربية القديمة، قيمتها ودورها في تصوير الحياة العربية: أحمد كامش، رسالة ماجستير، كليّة الآداب واللّغات، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينية ـ الجزائر. 2004م.